



الجمهورية اللبنانية
مجلس النواب
المديرية العامة للدراسات والمعلومات
مصلحة الأبحاث والدراسات

الهجرة من لبنان

أولاً: المقدمة

عمر الهجرة اللبنانية من عمر تاريخ لبنان، إنها قصة شعبٍ طالما شعر بالتهديد، الحرب، الجوع والقلق من المستقبل.

أرقام الهجرة من لبنان فاضحة وخطيرة جداً، أكثر من ٢٥ في المئة من اللبنانيين هاجروا ومثلهم ينتظرون فرصتهم، وجُلهم من الفئة العمرية الفتية ومتخرّجي الجامعات.

نحو ٨٣ في المئة من المهاجرين هم من الشباب، هذا يمكن أن يعني أن نحو ٢٥ في المئة من شباب لبنان قد هاجر، خصوصاً أن عدد المهاجرين سنوياً قد يساوي نسبة الزيادة في السكان، علماً أن بعض الدراسات تشير إلى أنّ عدد سكان لبنان يتناقص سنوياً بسبب تناقص الولادات.

واللافت للإنتباه أن هذه الرغبة بالهجرة لا تقتصر على طائفة، بل أصبحت تشمل كل الطوائف.

ثانياً: الوقائع

١- الهجرة بين الأرقام والحقائق

إذا كان البعض من الخبراء قد يُسارع للقول أن الهجرة عنصر تكويني عمره من عمر الكيان اللبناني لا بل سابق له، وأن الهجرة تشكّل أحد ركائز الاقتصاد اللبناني، غير أن الأمر أشد خطورة عندما يتبين لنا أن حوالي ٤٦ في المئة من المهاجرين هم متخرجون جامعيون وحوالي ٨٣ في

المئة هم من الشباب، ما يعني أن الجامعيين الذين سافروا في ثلاث سنوات قد يوازي عددهم إجمالي المتخرجين الجامعيين في ثلاث سنوات.

إن السبب الأول والأهم لهذه الهجرة قديماً" كان كسب الرزق والتجارة، وتدرجياً، مع مرور العقود، تحوّلت الهجرة الى اغتراب طويل...

لعبت الحرب دورها في الموضوع، حربٌ خارجية مع "اسرائيل" و حربٌ أهلية دامت لأكثر من خمسة عشر عاماً.

كان همُّ المهاجر الأول محصوراً بالتخلُّص من حالة الفقر والظلم التي عاشها في موطنه الأصلي، لذلك كان يرتضي الحلول في أي مكان، في مقر إقامته الجديد، شرط أن يوفّر له هذا المكان ظروف العمل المعقولة، ويدرُّ عليه ربحاً ما.

برغم اتفاق الطائف الذي أنهى الحرب الأهلية، يبدو أن لبنان مازال يشهد هجرة شبيهة بتلك التي حدثت مع بداية الحرب الأهلية واستمرت لسنوات تلتها، لتأخذ شباب لبنان وعائلاته إلى بلاد الاغتراب والهجرة، ولتستقر هناك من دون أن تفكر بالعودة إلى بلاد الأزمات.

ويُلفت أكثر من باحث اجتماعي ومطلّع من خلال أبحاث ميدانية على أجواء ما يجري في المناطق، أن أكثرية اللبنانيين تفكّر إما بالهجرة نهائياً إلى بلاد لا تزال تفتح أبوابها للهجرة مثل أستراليا وكندا وأميركا وبعض البلاد الإسكندنافية، أو بلاد لا تزال تمنح اللجوء السياسي أو تمنح تسهيلات، وإما بالسفر للعمل في الخارج والبحث عن فرص عمل غير متوفرة في لبنان، وإذا كانت متوفرة فبشروط تعجيزية ولا تتناسب مع غلاء المعيشة، وهؤلاء يتجهون للسفر إلى دول الخليج وإلى بعض الدول الأفريقية ودول في أميركا الجنوبية واللاتينية مثل البرازيل وفنزويلا، على أن قسماً من اللبنانيين يسعى للسفر حيث أقاربه المقيمين في بلاد متعددة ولاسيما في أفريقيا.

لا تقتصر أسباب التفكير بالهجرة على الأوضاع السياسية، إنما أيضاً على ما انحدرت إليه قدرة اللبنانيين الشرائية، والأعباء الجديدة التي فرضها ارتفاع أسعار الغذاء، ما قذف بفئات جديدة من اللبنانيين إلى عتبة ما دون الفقر.

والمشكلة بحسب الخبراء أنه بمجرد التفكير في الحصول على جواز سفر يكون اللبناني قد بدأ بالتفكير في الانتماء إلى بيئة أخرى. والأساس في ذلك حتى لو لم يتمكن من السفر والهجرة، إلا أن لديه الحافز لذلك، ما يعني عدم الثقة بالبلد الذي عاش فيه، في حين أن التغيير لم يعد عنصر اطمئنان له بعد الازمات المتتالية التي عصفت بالبلاد.

٢- الأسباب الأساسية لهجرة العقول اللبنانية

إن جميع الدراسات التي تناولت موضوع هجرة العقول من لبنان تجمع على أن هذه الهجرة هي نتيجة لتشابك جملة من الأسباب والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والشخصية. ويصنّف الباحثون هذه الأسباب في نوعين هما:

أ- الأسباب الأساسية الدافعة إلى الهجرة

- ضعف أو انعدام القدرة على استيعاب أصحاب الكفاءات الذين يجدون أنفسهم إما عاطلين عن العمل أو لا يجدون عملاً يناسب اختصاصاتهم في لبنان.
- ضعف المردود المادي لأصحاب الكفاءات.
- عدم الاستقرار السياسي، الأمني والاجتماعي.

ب - الأسباب الجاذبة لهجرة العقول

- الريادة العلمية والتكنولوجية للبلدان الجاذبة ومناخ الاستقرار والتقدم الذي تتمتع به اجمالاً هذه البلدان.
- إتاحة الفرص لأصحاب الخبرات في مجال البحث العلمي والتجارب التي تثبت كفاءاتهم وتطورها من جهة، وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة أوسع وأكثر عطاءً، من جهة أخرى.

إن البحث في مسألة هجرة العقول اللبنانية يطرح التساؤل التالي: لماذا يفشل لبنان في بذل الجهود اللازمة لجذب علمائه وفنييه من ذوي المهارات العالية والدقيقة في حين نجحت دول أخرى في ذلك؟

إن جانباً من الإجابة على هذا السؤال يكمن في الأسباب الدافعة للهجرة والتي سبق أن أشرنا إليها. ولكن ثمة جوانب أخرى يمكن توضيحها وهي أن لبنان يفتقد ما يُمكن أن يُطلق عليه مشروع التنمية المتوازنة والشاملة، والذي من أهم عوامله خلق وتعزيز البيئة الفكرية والعلمية والثقافية التي توفر مقومات العمل والاستقرار المعيشي والنفسي والإنتاج العلمي.

٣- الآراء والدراسات

أ - رأي معالي الوزير شربل نحاس

يرى الوزير السابق شربل نحاس أنّ «مجتمعنا يتّجه ليشبه المجتمعات الخليجيّة فنحن نعتمد أكثر

فأكثر على يدِ عاملة أجنبيّة ظرفيّة، ولبنان يتخصّص أكثر فأكثر في أنشطة غير متطوّرة ولا تستدعي الكثير من الكفاءات والاستثمارات، أمّا الاهتمام بالمظاهر والقشور، فأصبح ظاهرة مرضيّة لدينا»، لكن نسبة كبيرة من سلوكيات أهل الخليج الاجتماعية تدعمها الأموال التي جرى ضخّها في البلد مع النفط، لكن أين هي الأموال التي لدى دولتنا والتي نعتمد عليها؟ لا يهمّ يجيب نحّاس، فنحن نرسل شبابنا إلى الخليج العربي لكي يكسبوا الأموال، ونحوّل مجتمعنا إلى النموذج الخليجي بفضل عمل هؤلاء.

بالنسبة إليه هناك ثلاث دراسات إحصائيّة بالعيّنة فقط، في هذا الموضوع، يمكن بناء استنتاجات عليها.

هذه الدراسات الإحصائيّة قامت بها إدارة الإحصاء المركزي. الأولى عن القوى العاملة عام ١٩٧٠ والثانية عن القوى العاملة وميزانية الأسرة في عامي ١٩٩٦ و١٩٩٧ والثالثة والأخيرة نُشرت عام ٢٠٠٤. ويضيف نحّاس يجب العودة إلى هذه الإحصاءات الثلاثة في أي كلام جدّي في مسائل الأوضاع الديموغرافية والعمل والأوضاع الاجتماعية وإنفاق الأسر والمداخل في لبنان. كما أنّه ما من تعداد للسكّان والمقيمين في لبنان منذ عام ١٩٣٢.

أقوى أسباب الهجرة بالنسبة إلى نحّاس، وما أظهرته الدراسات، هو العامل الاقتصادي، أو الفروق بين القدرة الشرائيّة الفعلية بين لبنان والبلاد المهاجر إليها، لذلك يهاجر شباب لبنان، فيما جرى استبدالهم بعمال وافدين من بلدان أفقر.

ب - الدراسات و الاحصاءات التي تتعلق بمعدلات الهجرة من لبنان

يشير مسح المعطيات الإحصائية للسكان والمساكن الذي أعدته وزارة الشؤون الاجتماعية بين أعوام ١٩٩٧ و٢٠٠٤ الى أن عدد المهاجرين هو نحو ٤٤ ألف لبناني سنوياً بينما يرتفع هذا العدد منذ عام ٢٠٠٥ الى نسبة تتراوح بين ٦٠ و٦٥ ألفاً سنوياً وبلغ ذروته خلال حرب تموز ٢٠٠٦.

تشير دراسة أخرى للدكتور علي فاعور الى أنه بين عامي ١٩٩١ و٢٠٠٠ هاجر ٣٥٠ ألفاً من فئة الشباب. وبين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٥ هاجر ٢١٠ ألف من الشباب فيما هاجر أكثر من ١٢٠ ألفاً خلال تموز ٢٠٠٦ .

أما الدراسة التي أعدّها النائب السابق لرئيس مجلس الانماء والاعمار الدكتور بطرس لبكي فتشير الى أنه منذ العام ١٩٩١ بلغ عدد اللبنانيين الذين هاجروا لبنان ٨٢٠ ألفاً بينهم ١٧٠ ألفاً هاجروا العام ١٩٩٧ و١٨٠ ألفاً هاجروا في العام ١٩٩٨.

غير أن المرحلة الأبرز لعملية "التهجير" اللبنانية بدأت من العام ١٩٩٠ حتى الآن نتيجة للظروف السياسية التي مرّ بها لبنان من اغتيالات وتراجُع في الأوضاع الاقتصادية من غلاءٍ متزايدٍ للمعيشة ثم حرب تموز ٢٠٠٦ التي دفعت بالكثيرين إلى الهجرة.

واللافت للانتباه في مسار الهجرات اللبنانية، منذ العام ١٩٧٥ حتى يومنا هذا، أنّ السنوات الثلاث الأخيرة سجّلت رقماً قياسياً، إذ تجاوز عدد من تركوا لبنان، سواء بصورة دائمة أو مؤقتة، ١٧٤,٧٠٤ لبنانيين، أي بمتوسط سنوي مقداره ٥٨,٢٣٤ لبنانياً. في حين أن المتوسط خلال السنوات الماضية (١٩٩٥ - ٢٠١٠) كان ١٤,٥٦٠ لبنانياً، أي بارتفاع مقداره ٤٣,٦٧٤ لبنانياً ونسبته ٣٠٠ في المئة، وهذا مؤشر خطير في حال استمرار الهجرة والسفر بالوتيرة المرتفعة نفسها في السنوات المقبلة.

ثالثاً: الخاتمة

من خلال ما تقدّم، ومع الأخذ بعين الاعتبار لإيجابيات الهجرة التي أصبحت قليلة نسبة لمعدّلات الهجرة السلبية الكثيفة من لبنان، على الدولة القيام بما يتطلّب لدرء أخطار الهجرة المتزايدة يوماً بعد يوم من خلال زيادة الاستثمارات التي تخلق فرص عمل للشباب ما يساهم بتعزيز السلم الأهلي ودفع عجلة الاقتصاد رويداً رويداً، وبالتالي وضع حدٍّ لهجرة أصحاب الكفاءات التي كانت مقتصرة قديماً على الذكور منها أما الآن فهي مختلطة ما انعكس خلا اجتماعياً فكثر أعداد كبار السن المفتقدين لخدمات الاسرة مما زاد من الطلب على مآوي المسنين الذي فاض عن قدرة المؤسسات العاملة في هذا المجال والأعداد بازدياد ما يحتمّ الاسراع بوضع السياسات العلاجية الوقائية في هذا المجال والعمل على إطلاق مشروع التنمية المتوازنة والشاملة الذي يخفّف من عبء التفات اللبنانيين للهجرة التي لا يجدون منها مفر.

اعداد: خالد فرج